الفصل الحادي والستون بعد المئة

شعراء القرى العربية

والقرى العربية في نظر (ابن سلام) خمس هن: مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين[1] . و (القرية) في تفسير علماء العربية المصر الجامع ، وقيل كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها[2] . وقد جاءت اللفظة في مواضع عديدة من القرآن . كما وردت فيه : (القريتين) ، بمعنى مكة والطائف[3]، و (أم القرى) ، بمعنى (مكة)[4] ، و (أهل القرى) ، و (القرى) . ومكة والمدينة والطائف قرى ، أمـا (اليمامة) ، فمصر جامع ، ضم قرى ، وكذلك البحرين . ولم تدخل (الحيرة) ، أو الأنبار ، في القرى العربية لكونهما خارج حدود جزيرة العرب في عرف العلماء .

وذكر (ابن سلام) ان أشعر أهل القرى الخمس ، أهل قرية (المدينة) ، أي (يثرب) . وقد أخرجت خمسة من الفحول : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فمن الخزرج من (بني النجار) : حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة: (كعب بن مالك) ، ومن (بلحارث بن الخزرج) (عبدالله بن رواحة) .

---

١ طبقات (٥٢) .

٢ تاج العروس (١٠/٢٩٠) ، (قرى) .

٣ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الاية ٣١ ، تفسير الطبري (٢٥/٣٩) .

٤ الانعام ، الرقم ٦ ، الاية ٩٢ ، تفسير الطبري (٧/١٨٠) .

ومن (الأوس) : قيس بن الخطيم ، من (بني ظفر) ، (و (أبو قيس ابن الأسلت) من (بني عمرو بن عوف)[1] .

وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على ان أشعر أهل المدر : يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ، وعلى ان أشعر أهل المدر : حسان بن ثابت ، ثم قال : « حسان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر اليمن في الاسلام ، وهو شاعر أهل القرى » . وروي انه كان أشعر أهل الحضر[2] .

وقال (ابن سلام) في حديثه عن مكة : « وبمكة شعراء »[3] ووصف أشعار قريش بأنها أشعار فيها لين[4] ، وهي سهلة سلسة اذا قيست بأشعار أهل البادية ، يتغلب عليها طابع الحضارة ، وكذلك شعر باقي القرى . وقال عن (الطائف) ، وبها شعراء وليس بالكثير . وعلل ذلك بقوله : « وانما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم. والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف »[5] . وقال عن (البحرين) : « وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة »[6] . وقال عن (اليمامة) : « ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً »[7] .

ولم تنفرد أشعار قريش وحدها باللين ، وإنما الليونة والسهولة في الشعر من طبائع الشعر الحضري أجمع . ففي طبيعة الحياة في الحاضرة سهولة غير موجودة في حياة البداوة ، وراحة ودعة واستقرار ، وهي أمور لا توجد في البادية ، ثم فيها اجتماع واحتكاك بعالم خارجي ، وميل الى جمع المال والاستمتاع به،والابتعاد عن الغزو والحرب ، وكراهة القتال وتعريض النفس للخطر ، والنفس عزيزة غالية عند الحضر ، وهي هينة رخيصة عند الأعراب ، وما الذي يجعل الأعرابي يحرص على حياته حرص أهل الحواضر ، وكل ما عنده جوع وفقر وطبيعة قاسية

---

١ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .
٢ الاستيعاب (١/٣٣٨) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ طبقات (٥٧) .
٤ طبقات (٦٠) .
٥ المصدر نفسه (٦٥ وما بعدها) .
٦ كذلك (٦٦) .
٧ كذلك (٧٠) .

تجعله لا يحصل على قوته إلا بالإغارة عـلى غيره لاستلاب ما عنده من رزق . فلا غرابة إذا ما غلظ شعره وخشن شعوره المتمثل في نظمه ، ولأن شعر الحضري في مقابله .

ولم يذكر (ابن سلام) السبب الذي جعل (اليمامة) فقيرة في الشعر ، حيث يقول : « ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً »[1] ، ولا الأسباب التي حملته على القول بعدم وقوفه على شاعر شهير فيها ، مع أن (الأعشى) منها ، وهو شاعر شهير ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وهما شاعران مشهوران من (قيس ابن ثعلبة)، و (قيس بن ثعلبة) من القبائل النازلة باليمامة ، وقد ذكرها (ابن سلام) في طبقاته ، كما ذكر (المتلمس) ، في طبقاته ، وهو شاعر معروف من شعراء اليمامة كذلك . ويظهر أنه نسي أسماءهم ، لأنه كان يعلم أن الغلبة كانت لبني حنيفة على اليمامة عند ظهور الإسلام ، ولم يحفظ الرواة – لسبب لا نعرفه – شعراً لشعراء من بني (حنيفة) ، فعمم قوله على كل اليمامة،والحكم بالتعميم شيء مألوف بين أهل الأخبار .

وقد ذهب (الجاحظ) الى ان (بني حنيفة) أهل اليمامة ، كانوا أقل الناس شعراً ، إذ يقول : « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكراً كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقلّ شعراً منهم . وفي اخوتهم عجل قصيد ورجز ، وشعراء ورجّازون » . وقد أنكر أن يكون ذلك بسبب مكان الخصب وانهم أهل مدر ، أي حضر ، وانما رجع ذلك الى الطبع، والى « قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والأعراق مكانها »[2].

ويلاحظ أن علماء اللغة ، جعلوا (اليمامة) في جملة الأرضين التي لم يرجعوا الى لغاتها ، فذكروا أنهم لم يأخذوا اللغة « لا من بني حنيفة وسكّان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمجاورتهم تجار اليمن المقيمين عندهم »[3] ، وذلك في الإسلام بالطبع ، لأن تدوين اللغة لم يبدأ به إلا في هذا الحين . وهـو رأي صحيح ، لأن لغات أهل اليمامة متأثرة باللهجات العربية الجنوبية،كما كانت كتابتهم

---

١ طبقات (٧٠) .
٢ الحيوان (٤/٣٨٠ وما بعدها) .
٣ المزهر (١/٢١٢) .

بالمسند ، بدليل عثـــور المستشرقين على كتابات عديدة في مواضع من اليمامة ، مدوّنة بهذا القلم ، وبلغة عربية جنوبية متأثرة بلهجات خاصة بعض التأثر ، ولهذا فنحن نستطيع أن نقول إن كتابات اليمامة التي عثر عليها الآن والتي سيعثر عليها في المستقبل ، تكون مجموعة فريدة مهمة من الكتابات الجاهلية وقد تكون جسراً بين العربيات الجنوبيـــة القحة ، وبين اللغات العربية الشمالية ، وقد تكون هذه الخصائص اللغوية الفريدة هي التي جعلت (ابن سلام) يقول في طبقاته : « ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً »[1] ، إذ سمع أن شعراء اليمامة كانوا يقولون الشعر بلهجاتهم التي تختلف عن اللهجة التي نظم بها شعراء مجموعة (ال) ، فأهمل لذلك شعرهم ، أو أن شعرهم لكونه شعراً محلياً خاصاً ، لم ينتشر خارج قبائل اليمامة ، فلم يصل الى علمه منه شيء ، فقال لذلك قوله المذكور ، ولم يعـــده من الشعر المألوف ، الذي تعورف عليه بين علماء الشعر ، ولما كان (الأعشى)و(المرقش) الأكبر ، والمرقش الأصغر ، والمتلمس ، قـــد نظموا الشعر باللهجة المألوفة ، ولكونهم من المتنقلة الذين تنقلوا بين العرب ، وقضوا أكثر أوقاتهم خارج اليمامة ، لم يدخلهم لذلك في شعراء اليمامة ، لا جهلاً منه بأصلهم ،وإنما لما بينته من أسباب.

ولعل لكثرة وجود العبيد والموالي بها دخل في هذا الباب ، فاليمامة أرض خصبة ذات مياه ، استقر أهلها وأقاموا في القرى وزرعوا واستعانوا بالموالي وبالعبيـــد وبأهل اليمن لاستغلال أرضهم ، فصاروا من أصحاب الزراعة في جزيرة العرب ، كما استغلوا معادنها ، واستعانوا في استغلالها بالأعاجم ، فذكر انه كان في معدن (شمام) ألف أو يزيد من المجوس ، لهم بيت نار[2] . ولعل (آل كرمان) ، و (الأحمر) في الحرملية ، هم من الأعاجم الذين كانوا قد ولجوا هذه المواضع للعمل بها قبل الاسلام[3] ، أضف الى ذلك وجود عدد كبير آخر من الموالي في أكثر قرى اليمامة ، شغلوا في الزراعة وفي استغلال المعـادن وفي تصنيعها ، وهي أمور يأنف منها الأعرابي ويزدريها . ولهذا قيل لهم أهل (ريف) ، وقد وصفهم جرير بقوله :

---

١ طبقات (٧٠) .

٢ الصفة (١٤٢) .

٣ لغدة (٣٠٢ وما بعدها ، ٣٥٩) .

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها [1]

وذلك تعبيراً عن كثرة من كان في اليمامة من العبيد والموالي الذين لعبوا دوراً كبيراً في اقتصاد اليمامة ، حيث شغلوا في الزراعة وفي الرعي وفي استغلال المعادن والصناعة ، وانشاء القرى ، حتى صارت أرضها بين قرى وأرض استغلت بزرعها سيحاً ، أي على مياه الأمطار . وأما القرى ، فقد أقيمت على الآبار والعيون والمياه الجارية وعلى حافات الأودية. وقد حفر الرقيق أكثر هذه الآبار، كما استغلت الآبار العادية ، أي الآبار القديمة التي تنسب الى ما قبل مجيء قبائل (ربيعة) الى اليمامة . ونجد في الكتب التي وصفت اليمامة ذكراً لمواضع كثيرة ، توفرت بها المياه ، فصارت أرضين خصبة ، موّنت اليمامة وغيرها بالحنطة والتمور والخضر .

وكان جلّ أهل (اليمامة) عند ظهور الإسلام من (بكر بن وائل) ، وبكر ابن وائل من (ربيعة) ، فهم ليسوا من (مضر) اذن ، الذين أخذ عنهم علماء العربية اللغة في الإسلام . فقوم الأعشى ، وهم (بنو قيس بن ثعلبة) من بكر بن وائل ، وبنو حنيفة ، وهم قوم (مسيلمة) من (بني لجيم بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل)[2] ، فإلى ربيعة كانت الغلبة في هذا العهد ، وأما بطون (تميم) التي كانت تقيم في مناطق من اليمامة ، فلم تكن تكوّن الكثرة الى جانب ربيعة ، وتميم من مضر في عرف أهل الأخبار .

واليمامة اقليم مشهور عرف بعذوبة مياهه ، وبخصبه وبكثرة قراه ، وباشتغال أهله بالزراعة ، زراعة النخيل والأشجار المثمرة والحنطة ، كما عرف بتربيته للإبل والبقر والغنم ، ولذلك وفرت اللحوم به ، وقد استقر أهله ، وصاروا حضراً وأشباه حضر ، ولعلّ لصلتهم باليمن ولنزوح أهلها القدامى من اليمن ، وهم أهل زرع وضرع ، ثم توفر الماء والتربة الخصبة في اليمامة ، جعلت كل هذه الأمور أهلها حضراً على مستوى عالٍ من الحياة بالنسبة الى من كان يقيم في البوادي من القبائل ، اعتمدوا في الدفاع عن أنفسهم على الحصون والبتل التي لا تزال آثار بعضها قائمة الى هذا اليوم ، فكانوا إذا بوغتوا بهجوم ، أسرعوا الى بتلهم وقصورهم ، فتحصنوا بها . وهي من أهم ما يميز أهل الحضر عن

---

١ الخزانة (٢/٣٠٠) ، (بولاق) .
٢ تاج العروس (٦/٧٨) ، (حنف) .

أهل الوبر . ولهذا نجد مستوطنات أهل المدر ، مكوّنـة من أطم كما تسمى في (يثرب) ، أو قصور كما تسمى في الحيرة وفي قرى عرب العراق ، وبتل كما عرفت في اليمامة ، وبفضل هذا النظام الدفاعي ، حموا أنفسهم من هجمات الأعراب عليهم .

ولطابع الاستقرار الغالب على أهل اليمامة أثر في شعر شعراء اليمامة . يظهر في أساليب شعرائها السهلة وفي البحور التي نظموا بها شعرهم ، وهم يقربون بذلك من شعراء عرب العراق أو الشعراء الذيـن تأثروا بالشعر العراقي ، كما يظهر هذا الطابع في المعاني التي تطرقوا اليها ، وسبب قربهم في المعاني وفي الصياغة من أهل العراق ، هو تشابه الحياة بين عرب الحيرة مثلاً وبين أهل اليمامة . فأهل الحيرة حضر أو أشباه حضر ، وأهل اليمامة حضر مثلهم أو أشباه حضر ، لهم زراعة ، ولهم حرف قد احترفوها منذ أمد طويل ، ثم ان النصرانية كانت قد انتشرت بين عرب العراق ، وقد انتشرت بـين أهـل اليمامة كذلك ، وجذورها وإن لم تكن عميقة راسخة في المحيطين ، لكنها كانت قد تأثرت بعقلية أهلها على كل حال .

ومن شعراء اليمامة (المرقش) الأكبر ، وهو (ربيعة بن سعد بن مالك) ، ويقال : بل هو عمرو بن سعد بن مالك ، وقيل (عوف بن سعد بن مالك) من (بني قيس بن ثعلبة) من قبائل اليمامة المعروفة ، وكان أبوه سيد قومه في حرب البسوس، وهو خال (عمرو بن قميئة) ، وله صهر مع طرفة والأعشى ميمون[1] . ذكر انه انما عرف بالمرقش بهذا البيت :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم[2]

ويعدّ (المرقش) الأكبر من الشعراء العشاق ، وله قصة عن حبه لابنة عمه ، وعن زواجها أثناء غيابه ، ثم بحثه عنها ، ونزوله كهفاً أسفل (نجران) ، ثم احتياله في الوصول اليها ، ووفاته بعد ذلك . وهي قصة نجد لها مثيلاً في قصص

---

١ بروكلمن (١٠٢/١) ، المزهر (٤٧٦/٢ وما بعدها ، ٤٨١) .

٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢٠١) ، الاغاني (١٩٩/٥)، السيوطي ،شرح شواهد (٨٨٩/٢) ، اللسان (١٩٥/٨) الاغاني (١٢٧/٦) ، المؤتلف (١٨٤) ، المفضليات (١١١) ، رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠) ، البيان والتبيين (٣٧٤/١) .

وحكايات الأمم الأخرى[1] . وقيل ان صاحبته (أسماء بنت عوف بن مالك) ، كان أبوها زوّجها رجلاً من مراد ، والمرقش غائب ، فلما رجع أخبر بذلك ، فخرج يريدها ومعه عسيف له من (غفيلة) ، فلما صار في بعض الطريق مرض ، حتى ما يحمل إلا معروضاً ، فتركه الغفيلي هناك في غار ، وانصرف الى أهله ، فخبرهم انه مات ، فأخذوه وضربوه حتى أقر ، فقتلوه ، ويقال إن أسماء وقفت على أمره ، فبعثت اليه فحمل اليها ، وقد أكلت السباع أنفه . فقال :

يا راكباً أمـا عرضتَ فبلغـن أنس بن عمرو حيث كان وحرملا

وقد وصف في هذه الأبيات ما لاقاه في سفره،وهروب الغفيلي منه ، وذهاب السباع بأنفه . ويقال إنه كتبها على خشب الرحل بالحميرية ، وكان يكتب بها، فقرأها قومه ، فلذلك ضربوا الغفيلي حتى أقر[2] . وفي أكل السباع أنفه يقول :

من مبلغ الفتيـان أن مرقشاً أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلا
ذهب السبـاع بأنفه فتركنه ينهشن منه في القفـار مجدلا[3]

ونسب له قوله :

ومن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمرهُ ومَنْ يغوَ لا يعدم على الغيّ لائما
أخوك الـذي إن أحرجتك ملمةٌ من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
وليس أخـوك بالذي إن تشعبت عليك أمور ظـلّ يلحاك دائماً[4]

وقد تعرض (المعري) لكلمة (المرقش) :

هل بالديار أن تجيب صمم ؟ لو كان حيـاً ناطقاً كلّم

وقال بعد ذلك : « على أن مرقشاً خلط في كلمته فقال :

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٢/١) .
٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٣ رسالة الغفران (٣٥٥) ، الاغاني (١٢٧/٦) .
٤ بلوغ الارب (١٠٧/٣ وما بعدها) .

ماذا علينـــا ان غزا ملك من آل جفنة ظالم مُرغِم

وهذا خروج عما ذهب اليه الخليل »[1]

وتعرض بعد ذلك له ، بأن تصور نفسه وهو يقول له وقد زاره في أطبـاق العذاب: « ان قوماً من أهل الإسلام كانوا يسترزون بقصيدتك الميمية التي أولها :

هل بالديار أن تجيب صمم لو كان حياً ناطقاً كلّم

وإنها عندي لمن المفردات . وكان بعض الأدباء يرى أنها والميمية التي قالهـــا المرقش الأصغر ناقصتان عن القصائد المفضليات ، ولقد وهم صاحب هذه المقالة. وبعض الناس يروي هذا الشعر لك :

تخيّرت من نعمان عود أراكة لهند ، ولكن من يُبلغه هندا ؟
خليليّ جُورا بارك الله فيكما وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قصدا
وقولا لها : ليس الضلال أجارنا ولكننـــا جرنا لنلقاكمُ عمدا

ولم أجدها في ديوانك فهل ما حُكي صحيحٌ عنك ؟

فيقول : لقد قلت أشياء كثيرة ، منها ما نُقل اليكم ، ومنها لم ينقل . وقد يجوز أن أكون قلتُ هذه الأبيات ولكني سَرِفتها لطول الأبد ولعلك تنكر انها في هند ، وان صاحبتي أسماء ، فلا تنفر من ذلك ، فقد ينتقل المشبب من الاسم الى الاسم ، ويكون في بعض عمره مستهتراً بشخص من الناس ، ثم ينصرف الى شخص آخر ، ألا تسمع الى قولي :

سفه تذكّرُهُ خويلة بعدما حالت ذرا نجران دون لقائها »[2]

ومن القصيدة الميمية المنسوبة اليه قوله :

النشر مسك والوجوه دنـــا نيرٌ ، وأطراف الأكف عنم[3]

---

١ رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (٣٥٥ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (٥٦٠) ، أمالي المرتضى (٢/٢٥٥ ، ٢٥٧) .

وقوله :

ليس على طول الحياة نَدَمْ ومِن وراء المـرء ما يعلم[1]

ولم يبق من شعر المرقش الأكبر إلا (١٢) قطعة ، وفي بعض شعره اضطراب، والقطعة (٥٤) من الأصمعيات من بحر عروض لم يهتـد المتأخرون الى تحديده[2] . ونجد بحر الخفيف عنده[3] .

وأما المرقش الأصغر ، فهو (عمرو بن حرملـة) ، وقيل : (ربيعة بن سفيان) ، وقيل (عمرو بن سفيان) وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد عشاق العرب المشهورين . وورد في رواية أنه أخو المرقش الأكبر ، ويقال إنه ابن اخيه . وقد اشتهر بقصة غرامه بفاطمة بنت المنذر الثـالث ملك الحيرة[4] وكانت لها خادمة تجمع بينهما ، يقال لها (هند بنت عجلان) ، وكان للمرقش ابن عمّ يقال له (جناب بن عوف بن مالك) ، لا يؤثر عليه أحداً ، وكان لا يكتمه شيئاً من أمره ، فألح عليه أن يخلفه ليلة عند صاحبته ، فامتنع عليـه زماناً ، ثم انه أجابـه الى ذلك ، فعلمه كيف يصنع اذا دخل عليها ، فلما دنا منها أنكرت عليه مسّه ، فنحته عنها ، وقالت : لعن الله سراً عند المُعيدي ، وجاءت الوليدة فأخرجته ، فأتى المرقش فأخبره ، فعضّ على إبهامه فقطعها أسفاً وهام على وجهه حياءً . وخلد القصة في شعره[5] .

وكان هرب من المنذر وأتى الشام ، فقال :

أبلغ المنذر المنقبَ عني غير مستعتب ولا مستعـتِبن
لاتَ هنّا وليتني طرفَ الزج وأهلي بالشأم ذاتِ القرونْ[6]

---

١ أمالي المرتضى (٢/٧٨) .
٢ بروكلمن (١/١٠٢) .
٣ غرونباوم (٢٧٩) .
٤ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٠٥ وما بعدها) ، الاغاني (٥/١٩٣ وما بعدها) ، للمرزباني (٢٠١) ، بروكلمن (١/١٠٣) ، (٤ وما بعدهـا) ، (فراج) ، المؤتلف (١٨٤) ، المفضليات (١١٤) ، الاغاني (٦/١٣٦ وما بعدها) ، رسالة الغفران (٣٥٧) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٤٣) ، (الثقافة) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٤٤) ، (الثقافة) .

وصاحبته بنت عجلان ، أمة كانت لبنت (عمرو بن هند) ، وفيها يقول:

يا بنت عجلان ما أصبرني على خطوب كنحتٍ بالقدوم

ومن شعره المشهور هذا البيت :

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمرهُ ومن يغوِ لا يعدم على الغي لائما[1]

ويعد المرقش الأصغر أشعر من عمه ، ويغلب على شعره الغزل ، وهو أكثر صقلاً ، وأقرب مطابقة لأسلوب المتأخرين[2] .

ومن شعراء اليمامة : (المتلمس) ، وهو (جرير عبد المسيح) ، وقيل (جرير بن عبد العزى) ، وقيل غير ذلك ، وهو من بني ضبيعة ، وأخواله (بنو بشكر) . وهو خال (طرفة) ، لقّب بالمتلمس لبيت قاله ، هو :

فهذا أوان العرض حيّا ذبابه زنابيره والأزرقُ المتلمس

وقيل ان اسم أبيه (عبد العزى) ، وهو من أسماء الوثنيين،ويظهر انه تنصر فسمى نفسه عبد المسيح[3] .

وكان ينادم (عمرو بن هند) ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد ، فبلغه انهما هجواه ، فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين ، أوهمهما انه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب اليه يأمره بقتلهما ، فاستراب (المتلمس) من الكتابين وعرض كتابه على غلام من أهل الحيرة ، فقرأه فإذا فيه أمر بقطع يديه ورجليه ، ودفنه حياً ، فزقه ، ورماه في نهر الحيرة ، وقال لطرفة : ادفع اليه صحيفتك يقرأها ، فأبى وذهب الى البحرين فقتله عامل (عمرو بن هند) . وهرب المتلمس الى بصرى

---

١ الشعر والشعراء (١٤٣/١ وما بعدها) ، (فمن يلق خيرا) ، أمالي المرتضى (٢٤٦/٢) .

٢ بروكلمن (١٠٣/١) .

٣ بروكلمن ، تاريخ الآداب العربية (٩٣/١) ، الشعر والشعراء (١١٢/١ وما بعدها) ، الخزانة (٧٣/٣) ، (بولاق) .
فهذا أوان العرض جن ذبابه زنابيره والازرق المتلمس
السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٨/١) ، الاشتقاق (١٩٣/١) ، البيان (٣٧٥/١).

واستقر هناك الى أن مات بها . وضرب المثل بصحيفة المتلمس[1] .

و (المتلمس) من (ضبيعة أضجم) ، وقد نسبت الى (الحارث الأضجم) ، وكان قديم السؤدد فيهم ، كانت تجبى اليه أتاوتهم[2] .

وقد ذكر (العيني) أن البيت المنسوب الى (المتلمس) ، وهو البيت الذي ضرب به المثل ، فقيل صحيفة المتلمس ، ونصه :

ألقي الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

ليس من نظم المتلمس ، ولم يقع في ديوان شعره ، وإنما هو لأبي مروان النحوي ، قاله في قصة المتلمس حين فرّ من عمرو بن هند . وكان قد هجا عمرو بن هند ، وهجاه أيضاً طرفة بن العبد ، فقتل طرفة وفرّ المتلمس . وبعد البيت المذكور :

ومضى يظن بريد عمرو خلفه خوفاً وفارق أرضه وقلاها[3]

ويحتمل على رأي (بروكلمن) أن تكون قصة الصحيفة مختلفة ، وكذلك القصيدة التي ورد فيها ذلك البيت[4] .

قال الشريف (المرتضى) : « ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح

---

١ الشعر والشعراء (١/١١٢ وما بعدها) ، الاغاني (٢١/١٢٠) ، الخزانة (١/٤٤٦) ، (بولاق) ، الميداني ، أمثال (١/٢٧٠) ، أمالي المرتضى (١/١٨٣ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (١/١٩٢) .

٣ العيني ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية (٤/١٣٤) ، (حاشية على خزانة الادب) .

٤ بروكلمن (١/٩٤) .

طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان»[1].

وفي شعر المتلمس ما يتعلق بأخبار القبائل ، وفيه هجاء لعمرو بن هند. وهو من الشعراء المقلين . « قال أبو عبيدة : واتفقوا على ان أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المتلمس ، والمسيب بن علس ، وحصين بن الحمام المريّ »[2] . وذكر انه أخذ يهجو (عمرو بن هند) من منفاه ، ويحرض قوم طرفة على الطلب بدمه. فمن جملة ما قاله قصيدته :

إن العراق وأهله كانوا الهوى فإذا نأى بي ودهم فليبعد

ولما تهدده (عمرو) ، وحلف ان وجده بالعراق ليقتلنه وان لا يطعمه حب العراق ، قال المتلمس :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسمٍ ولا دمشق اذا ديس الكراديس[3]

وبقي يبصرى حتى هلك بها ، وكان له ابن يقال له : عبد المدّان ، أدرك الاسلام ، وكان شاعراً ، هلك يبصرى ولا عقب له[4] .

وكان طرفة بن العبد وخاله المتلمس وفدا على (عمرو بن هند) ، فنزلا منه خاصة وناداماه ، ثم انهما هجواه بعد ذلك ، فكتب لهما كتابين الى البحرين وقال لهما : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصا لتقبضاها . فخرجا من عنده،والكتابان في أيديهما ، فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفاً يقضي حاجته ، وهو مع ذلك يأكل ويتفلى ، فقال أحدهما لصاحبه:هل رأيت أعجب من هذا الشيخ ؟ فسمع الشيخ مقالته فقال : ما ترى من عجبي ؟ أخرج خبيثاً ، وأدخل طيباً ، وأقتل عدواً ، وان أعجب مني لمن يحمل حتفه وهو لا يدري . فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه . ولقيه غلام من الحيرة فقال : أتقرأ يا غلام ؟

---

١ أمالي المرتضى (١/١٨٥) .
٢ الشعر والشعراء (١/١١٥) .
٣ الخزانة (٣/٧٥) ، (بولاق) .
٤ الشعر والشعراء (١/١١٥) ، (دار الثقافة) .

قال : نعم . ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه عليـــه ، فإذا فيه : إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حياً . فأقبل على طرفة فقال : تعلم والله، لقد كتب فيك بمثل هذا . فلم يلتفت الى قول المتلمس ، وألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وهرب الى الشام ، وأخذ يهجو عمرو بن هند[1] .

ورويت القصة بشكل آخر خال من التزويق والتنميق نوعاً ما . ذكرت ان « المتلمس وطرفة بن العبد هجوا عمرو بن هند ، فبلغه ذلك ، فـلم يظهر لهما شيئاً ، ثم مدحاه فكتب لكل منهما كتاباً الى عامله بالحيرة (؟) ، وأوهم انه كتب لهما فيه بصلة . فلما وصلا الحيرة ، قال المتلمس لطرفـة : إنا هجوناه ، ولعله اطلع على ذلك ، ولو أراد أن يصلنا لأعطانا ! فهلم ندفع الكتابين الى من يقرأهما ، فإن كان خيراً وإلا ندرنا . فامتنع طرفة ، ونظر المتلمس الى غلام قد خرج من المكتب فقال : أتحسن القراءة ؟ قال : نعم . فأعطاه الكتاب ففتحه، فإذا فيه قتله . ففر المتلمس الى الشام وهجا عمراً هجاءً قذعاً . وأتى طرفة الى عامل الحيرة بالكتاب فقتله »[2]. وقد حلت الحيرة في هذه القصة في محل البحرين، وصار العامل القاتل عامل الحيرة ، وخلت من ذكر الشيخ .

وطرفة هو القائل في قصيدة له :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبـــار من لم تـــزود

وكان النبي إذا استراث الخبر يتمثل بعجز هذا البيت من هذه القصيدة[3] .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

قليل المـــال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظ المالِ خـير من بُغاه وجولٍ في البـــلاد بغير زاد

وقوله :

ولا يقيم عـــلى ذل يُراد به إلا الأذلان : غير الحي،والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فـلا يرثي له أحـــد

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٩٥ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٥) ، (فراج)٠
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٧١) ، الشعر والشعراء (١/١١٢) ٠
٣ المرزباني ، معجم (٦) ٠

وقوله :

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت إلاّ مثل قاطع كفّه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما[1]

وذكر أن النبي كتب لعيينة بن حصن كتاباً ، فقال : يا محمد أتراني حاملاً الى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس . أي لا أحمل الى قومي كتاباً لا علم لي بما فيه . وقد أشير الى (صحيفة المتلمس) في شعر الفرزدق[2] ، وفي شعر شعراء آخرين[3] .

ونسب الى (المتلمس) قوله :

وأعلمُ علمَ حقٍ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العتادِ
لحفظ المال أيسر من بُغاه وضربٍ في البلاد بغير زادِ
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد[4]

وله شعر في الأقارب ذكره له الجاحظ في كتاب الحيوان[5] .

والمسيب بن علس ، واسمه (زهير بن علس) ، وانما لقب بالمسيب بقوله:

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق[6]

و (المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قامة) ، هو من (جُماعة) ، وهم من (بني ضبيعة بن ربيعة بن نـزار) ، ويكنى (أبا الفضة) ، وهو خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته . واسمه : (زهير بن علس) . وانما سمي (المسيب) لبيت قاله ، هو :

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق

---

١ بلوغ الارب (٣/١١٢ وما بعدها) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٩٧) .
٣ الحيوان (٢/٨٥) .
٤ الحيوان (٣/٤٧) .
٥ (٣/١٣٦) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٠٨) .

وهو جاهلي لم يدرك الاسلام ، من شعراء بكر بن وائل المعدودين . وكان امتدح بعض الأعاجم ، فأعطاه ، ثم أتى عدواً له من الأعاجم يسأله ، فسمّه فمات ، ولا عقب له[1] .

وقد ذكر (الهمداني) ان الأعشى يحتذي في شعره على مثال (المسيب) ، وكان الأعشى راويته[2] .

وله قصيدة قالها في (القعقاع بن معبد بن زرارة) ، فيها :

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة الى القعقاع
أنت الذي زعمت معد أنه أهل التكرم والندى والباع[3]

وقد أورد (الهمداني) له قصيدة زعم أنه قالها في مدح (زيد بن مرب)، أو في مدح ابن ابنه (زيد بن قيس بن زيد) أولها :

كلفت بليلي خدين الشباب وعالجت منها زماناً خبالا
لها العين والجيد من مغزل تلاعب في القفرات الغزالا[4]

وقد ذكر (الجاحظ) شعراً قال انه لغيلان بن سلمة الثقفي ، هو :

في الآل يخفضها ويرفعها ريعٌ كأن متونه السحلُ
عقلاً ورقّاً ثم أردفه كِلَلٌ على ألوانها الخملُ
كدم الزعاف على مآزرها وكأنهن ضوامراً إجلُ

وعقب عليه بقوله : « وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس »[5] .

وقد نشر ديوان (المسيب بن علس) في سلسلة نشريات (كب) Gibb بلندن سنة (١٩٢٨م)[6] .

---

١ الاشتقاق (٣١٦) ، الخزانة (١/٥٤٥) ، الشعر والشعراء (١/١٠٧) ، ابن سلام ، طبقات (٣٦) ، القاب الشعراء (٣١٥) ، الخزانة (٢/٩) ، (بولاق) .
٢ الاكليل (٢/٣٠٧) ، الشعر والشعراء (١/١٠٨) ، أمالي المرتضى (١/٥٦٠) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .
٤ الاكليل (٢/٣٠٤ وما بعدها) .
٥ الحيوان (٦/٣٣٥) .
٦ بروكلمن (١/١٥١) . Gibb, Memorial, London 1928.

ومن شعراء اليمامة : (ذو الكف الأشل) ، واسمه (عمرو بن عبدالله بن حنيفة) من بني قيس بن ثعلبة ، يكنى أبا جلان ، فارس شاعر جاهلي، توعدته (بنو حنيفة) فقال فيها شعراً[1] .

و (الفند) ، هو (شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمّان بن مالك بن صعب) الزمّاني من شعراء الجاهلية. وله قصيدة في حرب البسوس[2] . وهو من (بني حنيفة)، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب، أي حرب البسوس، فكتب بنو بكر بن وائل الى بني حنيفة يستنصرونهم ، فأمدوهم بالفند الزماني في سبعين رجلاً ، وكتبوا اليهم إنا قد بعثنا اليكم ألف رجل[3] .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

كففنا عن بني هند ... وقلنا : القومُ إخوانُ
عسى الأيام ترجعهم ... جميعاً كالذي كانوا
فلما صرح الشرّ ... وأضحى وهو عريان
شددنا شدة الليث ... عدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع ... وتوهينٌ وارنان
وطعن كفم الزق ... وهى والزق ملان[4]

وقد وردت هذه الأبيات في (الخزانة) بشيء من الاختلاف[5] .

و (عمرو بن عبد العُزى بن سحيم بن مرّ بن الدئل) الحنفي ، من بني حنيفة ، وهو شاعر جاهلي[6] ، وكذلك كان (عمرو بن الذارع) الحنفي من الشعراء الجاهليين[7] .

---

١ المرزباني ، معجم (١٤) .
٢ الحماسة (١/٢١) ، الخزانة (٢/٥٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢/٩٤٤) ، الاغاني (٢٠/١٤٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٠٧) ، الحماسة ، للبحتري (٧٤) الحماسة لابي تمام (١/٦) .
٣ الخزانة (٢/٥٧ وما بعدها) .
٤ الحيوان (٦/٤١٥ وما بعدها) ، الامالي ، للقالي (١/٢٦٠) .
٥ الخزانة (٢/٥٨) .
٦ المعجم ، للمرزباني (٤٠) .
٧ المعجم ، للمرزباني (٤١) .

ومن شعراء اليمامـــة أيضاً (موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عُبيد) الحنفي اليمامي . وكان جاهليـــاً نصرانياً ، يلقب بـ (أزيرق) اليمامة . ويعرف بـ (ابن ليلى) ، وهي أمه . وهو شاعر كثير الشعر[1] ، وعرف أيضاً بـ (ابن الفريعة)[2] . وورد أنه كان من الشعراء الاسلاميين[3] .

ومن شعراء اليمامة : (مجاعه بن مرارة بن سلمى[4] بن زيد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن ثعلبـــة بن الدؤل بن حنيفة) الحنفي اليمامي ، وكان من رؤساء حنيفة ، وأسلم ووفد ، وأعطاه الرسول أرضاً باليمامة يقال لها (العورة) ، وكتب له كتاباً بذلك ، وكان بليغاً حكيماً ، وكان ممن أسر يوم القيامة ، فأشير على (خالد) باستبقائه فأبقاه ؛ وكان قد انضم الى (مسيلمة)[5] .

ومن شعراء اليمامة (ثمامة بن اثال) ، وكان من سادتها ، ولما أسلم قطـــع الميرة عن أهل مكة ، وكانوا قد عتبوا عليه لدخوله في الاسلام ، حتى شق عليهم ذلك ، فكتبوا الى الرسول : انك تأمر بصلة الرحم ، وإنا قد هلكنا ، فكتب الى ثمامة ان خل اليهم الحمل ، فخلاه اليهم . وكان قد ثبت على الاسلام ، ولم يرتد مع مسيلمة . وتوفي سنة (١٢) للهجرة[6] . وذكر من شعره قوله :

دعانا الى ترك الديانة والهدى مسيلمة الكذاب اذا جاء يسجع
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا له في سبيل الغي والغي أشنع[7]

وأشير الى شاعرة من شاعرات (بني عجل) اسمهـــا (حسينة) ، وكان (عمرو بن الحارث بن أقيش) العكلي ، قد أسرها ، في يوم العذاب في الجاهلية ، وهو يوم أغارت فيه (بنو عبد مناة بن أد بن طابخة) على عجل وحنيفة بأرض

---

١ المرزباني (٢٨٥) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) .
٢ الخزانة (١/١٤٦) ، (بولاق) ، المؤتلف (١٦٥) ، الاغاني (١٠/١٠٧) ، الحيوان (٤/٢٨٠) .
٣ الحيوان (٤/٢٨٠) ، (حاشية ٥) .
٤ وقيل سليم .
٥ الاصابة (٣/٢٤٢) ، (رقم ٧٧٢٤) ، المرزباني ، معجم (٤٤٢) ، خليفة بن خياط كتاب الطبقات (٦٦) .
٦ الاصابة (١/٢٠٤) ، (رقم ٩٦١) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي (٢٨٣) .
٧ الاستيعاب (١/٢٠٨) ، (حاشية على الاصابة) .

جو باليمامة ، ففاداها أخوها (أبجر بن جابر بن بجير بن شريط) العجلي بمائة من الإبل وخمسة أفراس[1] .

واذا تجوزنا فأدخلنا (الحيرة) في جملة هذه القرى ، وجب اعتبار (عديّ ابن زيد) العبادي ممثلها الأول ، إذ لم يبلغ أحد مبلغه في الشعر من بين رجال هذه المدينة . فهو المقدم على جميع شعراء الحيرة التي كان يفد اليها الشعراء ، ولأكثرهم ذكريات مع ملوكها ، الذين كانوا يجزلون العطاء لمن يمدحهم ويكيل لهم بالثناء ، لا لمجرد حب الاستماع الى المدح والثناء والإطراء ، بل لما لشعر المديح ولشعر الهجاء من أثر كبير في حياة ذلك اليوم ، فالشعر هو من أهم وسائل الإعلام في ذلك الوقت ، وللدعاية والإعلام وجلب الناس نحو الممدوح أهمية كبيرة بالنسبة الى رجال الحكم والسياسة في كل زمان ومكان ، إن كذباً وان صدقاً ، فالسياسي يريد تحقيق سياسته ، بأية وسيلة كانت ، حتى إن كانت بالكذب والغش والتزوير ، فالشعر من وسائل الخدمة السياسية التي استعان بها ملوك الحيرة في بسط نفوذهم في جزيرة العرب .

و (عدي بن زيد) العبادي هو ابن الحيرة ، فهو لسان هذه المدينة ، أما بقية الشعراء ، فقد كانوا يأتون هذه المدينة ، لنيل صلة أو لقضاء أمر ، ثم يعودون الى ديارهم ، ومنهم من كان يطيل المقام بها ، فيتأثر بثقافتها وبمحيطها حسب قابلياته وسرعة استجابته للمؤثرات الخارجية . ويظهر انه كان لأهل الحيرة ولعرب العراق عامة ذوق خاص في الشعر ، ولهم حب لتنويع البحور ، والتزام البحور السهلة المؤثرة ، وميل الى التنوع في الوزن ، والتعبير أحياناً عن بعض أفكار مستمدة من البداوة ، والظهور بلون محدد من التراث المحلي[2] .

يقول (غرونباوم) : « وليس من الغريب أن نجد التفنن في الأوزان الشعرية في العراق أغنى مما كان عليه في أي مكان آخر ، وذلك لأن أجيالاً كثيرة هي التي عاشت في المدينة وفي البلاط ، ونزعت بطبيعة وضعها الى التحسن في تلك الفنون ، ولكن الغريب المدهش حقاً ان نرى أبا دؤاد يعرض علينا أغنى تنوع عروضي في الشعر العربي القديم ، لأن شعره جاء على اثني عشر بحراً . واذا

---

١ المرزباني ، معجم (٣٧) .
٢ غرونباوم (٢٦٤) .

عدينا أمر التنويع في الأوزان ، وجدنا هذه المدرسة قد أكثرت من بحر الرمل ، ولا يستعمل هذا البحر في الشعر القديم إلا أبو دؤاد في ثلاث قصائد ، وطرفة في ثلاث قصائد ، وعدي في سبع قصائد ، والمثقب في واحدة ، والأعشى في اثنتين. ولا يستثنى من هذا الحكم أيضاً إلا امرؤ القيس ، القصيدة ١٨ . وأقول ان هذه الحقيقة تقوي الرواية التي تقول انه كان راوية لأبي دؤاد »[١] .

وقد لفت نظره وجود هذا البحر : بحر الرمل في العراق ، ونمـــوه بالحيرة بصورة خاصة ، وعلل ذلك بقوله : « ان الرمل استعير من الوزن البهلوي الثماني مقاطع كما صوّره(بنفينيسته) (المجلة الآسيوية ٢ : ٢٢١ ، ١٩٣٠) ، وانه عدل على نحو يلائم العروض العربي . والحق ان ليس من عقبـــة داخلية تقف دون القول بوجود أثر فارسي في النسق الشعـري العربـي ، في المناطق المجاورة للدولة الفارسية والتابعة لها ، ولأؤيد هذه النظرية أحيل القارىء على بحر المتقارب ، فقد أثبت (بنفينيسته) انه مشتق من البحر البهلوي Hendekasyllabic ذي الأحد عشر مقطعاً اثباتاً يكاد لا يقبل الشك »[٢] .

ولاحظ (غرونباوم) أن الخاصية العروضية الثانية لمدرسة الحيرة هي نزوعهـا الى بحر الخفيف ، وعند أبـي دؤاد منه خمس عشرة قصيدة ، وعند عدي سبع، وعند الأعشى خمس ، ولم يستعمل هذا البحر عند الشعراء المعاصرين إلا على نحو عارض[٣] . ولكننا نجـــد بحر الخفيف في شعر (عمرو بن قميئة)[٤] ، وفي شعر للمرقش الأكبر[٥] ، والمرقش الأصغر[٦] ، وفي شعر لعبيد[٧] ، وفي شعر ينسب لعامر ابن الطفيل[٨] ، ومعلقة الحارث بن حلزة[٩] .

ويعتبر (شوارتز) بحري الرمل والخفيف نوعاً من الإيقاع الفارسي ، انتقل الى العربية . أما تأثير الشعر الساساني في الأعشى فيشهد به قطعة (بهلفية) طبعها

---

١ غرونباوم (٢٦٥ وما بعدها) .
٢ غرونباوم (٢٦٥ وما بعدها) .
٣ غرونباوم (٢٦٦) .
٤ القصيدة ٦ و ٩ (لايل) .
٥ المفضليات (٤٨) .
٦ المفضليات (٥٩) .
٧ عبيد (١١) و (٢٧) .
٨ القصيدة (٥) ، والقطعة (١٤) ، (لايل) .
٩ غرونباوم (٢٧٧) .

(بنفينيسته) وترجمها، وقطعة أبي دؤاد ١٤[1] ، و ١٨[2]، وما فيهما من إشارة الى البيزرة ، تدلان على أثر الحضارة الساسانية في العراق .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع تأثر الشعر الجاهلي بمؤثرات أجنبية ، فأنكر ذلك ، إذ قال : « وأما ما زعمه بعض العلماء من أن مؤثرات أجنبية أثرت في فن الشعر القديم ، فليس هناك ما يؤيده ، نعم يريد بورداخ أن يرجع النسيب العربي الى شعر القصور اليونانية بالاسكندرية ، لأن أكثر النسيب العربي يقال في عشق النساء المتزوجات ، كما هو الحال عند شعراء ملوك الإسكندرية،ويتصور انتقال هذه الصناعة الى العرب عن طريق شعراء الملوك في الشأم والعراق . ولكن مثل هذه الأبيات الغزلية ، التي تشبه النسيب في مطلع القصائد وإن لم تبلغ بعد نمواً كاملاً ، يعرفها أيضاً شعر التكرية في أوائل القصائد المطولة وفي أواخرها .

ولا شك أنه من قبيل المصادفة والاتفاق أن يبدو في قصيدة للمسيب بن علس، يتكرر فيها ست مرات هذا الخطاب : ولأنت ، صدى ورنين لأسلوب الأنشودة القديم الذي يتميز به أكنوستوس تيوس . كما وضح ذلك الأستاذ نوردن[3] .

ونرى في الشعر العراقي وفي شعر سواحل الخليج ، أي العربية الشرقية ، ذكراً للبحر وللسفن . وفي شعر طرفة قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دَدِ
عدولية أو من سفين ابن يامن ... يجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حَبابَ الماء حيزومها بها ... كما قسم التربَ المفايل باليد[4]

وصف للبحر ولسفن رجل يظهر انه كان يهودياً صاحب سفن ، ولا نجد هذا الوصف أو الالتفاتة الى البحر في شعر الشعراء القاطنين البوادي، أو الذين لم يروا النهرين الكبيرين في العراق أو ساحل الخليج . فهـذا الوصف هو من خصائص

---

١ فانتحى مثل ما انتحى باز دجن ... جوعته القناص للدراج
الاغاني (١٥/٩٥) ، من الخفيف .
٢ اذا شاء فارسه ضمه ... كما ضم باز اليه الجناح
غرونباوم (٣٠٢) .
٣ بروكلمن (١/٦٢) .
٤ البيت رقم (٣) وما بعده من معلقته .

البلاد التي تكون على سواحل البحار .

وليس وجود السهولة في الشعر العراقي مثل شعر (عدي بن زيد) ، أو في شعر أهل القرى ، بأمر غريب . وقد عبر عنها بالليونة كذلك . فالحضارة ، أي الحياة في القرية أو في المدينة ، أو حياة أهل المدر ، هي ليونة وسهولة في حد ذاتها بالنسبة الى حياة البوادي والبراري ، حيث الخشونة والغلظة في الحياة ، ومن ثم صار الأعرابي غليظاً فظاً خشناً، يتكلم بعنجهية لا يفهمها أهل المدر والاستقرار، فيتصورونها فظاظة منه وغلظة ، وانسان على هذا النحو من الطبع أو التطبع، لا بد وأن يكون شعره خشناً مثله ، فالشعر تعبير عن احساس نفسي ، وعن انعكاس لثقافة المرء ولتربيته الناتجة عن محيطه ، ولهذا نجد شعر شعراء القرى يختلف عن شعر أهل البوادي ، بألفاظه وبأسلوب نظمه وبمعانيه وبروحه الحضرية .

وقد وصف شعر (عدي) بالليونة ، ونسبوا ذلك الى سكنه الحضر . « وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير ، وإلا فهو مقل »[1] . وقالوا عنه « وعدي من الشعراء مثل سُهيل في النجوم : يعارضها ، ولا يجري معها . هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة في أيدي الناس ، ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها »[2] . وقيل عن شعره : « والعرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »[3] . وقد أرادوا بالكتب ، الكتب المقدسة التوراة والأناجيل والكتب النصرانية الأخرى . ولم يشيروا الى لغتها ، والأغلب أنها كانت بالإرمية التي كانت شائعة في العراق وبين نصارى المشرق ، ولكني لا استبعد احتمال وجود بعض منها باللغة العربية ، لأن غالبية أهل الحيرة كانت تتكلم بها ، ولا سيما الطبقة الحاكمة التي هي من صلب عربي . فلا يستبعد احتمال ترجمة بعض الكتب لهم بالعربية ، للوقوف عليها .

قال (أبو عبيدة) « إن العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، فلا بد أن يكون أساس الشعر عندهم على صميم العربية

---

١ العمدة (١/١٠٤) .
٢ العمدة (١/١٠٤) ، الاغاني (٢/١٨) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٥٤) ، (الثقافة) .

من لسان مضر ، وما عدا ذلك فهو مما تبعث عليه فطرة صاحبه ، ولكن العرب لا يبالون به ولا يروونه ، وعلى هذا مشى المتأخرون في الاحتجاج بالشعر العربي، فالعلماء لا يرون شعر عدي بن زيد حجة ، لأنه كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ؛ وهذا الاعتبار يحدد لنا منشأ الشعر »[1] . ولكننا لو تصفحنا شعر الشواهد، نجد أن فيه شعراً من شعر عدي ، استشهد به في القواعد[2]، وقد ذكر (الجاحظ) أن (أبا إياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دُواد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي »[3] .

والواقع ان شعر (عدي) أقرب الينا من شعر أهل البادية ، وأسهل فهماً ، وفيه معان حضرية لا نعثر عليها في شعر شعراء أهل الوبر ، ونجد في شعره ألفاظاً معربة ، استشهد بها (الجواليقي) في كتابه المعرب ، وذلك دليل على تأثره بمحيطه وبيلدته التي كانت عربية نبطية فارسية ، تلعب بها تيارات ثقافية متباينة، وهو يخالف شعراء البوادي، في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة، وميله الى الأعاريض القصيرة ، ثم في أسلوب خمرياته الشبيهة بخمريات الأعشى وحسان بن ثابت ، ثم يخالف شعراء نجد في أفكار الزهد والتصوف التي ترد في شعره ، والتي لا ترد ولا تخطر على بال الشاعر الأعرابي[4] .

وعدي بن زيد العبادي ، هو (عدي بن زيد بن حماد بن أيوب) ، وقيل: (عدي بن زيد بن حمار (حماز) بن زيد بن أيوب بن مجروف (محروف) ابن عامر بن عصبة (عصية) بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم) ، وقيل : عدي بن زيد بن أيوب بن حمار (حماد) (جمار) ، أحد بني (امرىء

---

١ الرافعي (٨/٢ وما بعدها) ، الاغاني (٩٧/١٥) ، الشعر والشعراء (١٥٠ وما بعدها ، ١٦٢) .

٢ شرح شواهد المغني ، للسيوطي (٦٥٨/٢) .

٣ البيان والتبيين (٣٢٣/١) .

٤ كارلو نالينو (٩٠ وما بعدها) .

القيس بن زيد مناة بن تميم)[1] . وكان كاتباً لكسرى على ما يجتبي من الغور ، وكان سبب ملك النعمان بن المنذر . وكان كسرى مكرماً له محباً ، وكان عدي أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة ولو أراد أن يملكه كسرى على الحيرة ملكه ، ولكن كان يحب الصيد واللهو ، ولم يكن راغباً في ملك العرب[2] . وعرف بـ (أبي سوادة)[3] .

وجدّ عدي أول من سمي من العرب بأيوب ، وجده (جبار) (حمار) (حماد) (حماز) أول من كتب من العرب ، لأنه نزل الحيرة فتعلم الكتابة منها . وذكره الجمحي في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، وقال : هم أربعة رهط ، فحول شعراء ، موضعهم من الأوائل ، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة، طرفة وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدي بن زيد[4] . وذكر أن (حمازاً)، كان أول من تعلم الكتابة (من بني أيوب) وكتب للنعمان الأكبر[5] .

وكان لعدي بن زيد عدوّ من أهل الحيرة يقال له : (عدي بن أوس) من (بني مرينا) ، سبق أن تحدثت عنه ، أوغر صدر (النعمان) على عدي حتى حبسه بالصنّين ، سجن بظاهر الكوفة ، فقال عدي بن زيد شعره كله أو أكثره في الحبس حتى مات به[6] . وكان موته من جملة أسباب القضاء على حكم النعمان[7] .

---

١ وتجد اختلافا بين النسخ المطبوعة في ضبط الاعلام ، في مثل « حماد » و « مجروف » و « عصبة » ، وذلك بسبب ، اختلاف النسخ الخطية الاصلية في ضبط هذه الاسماء لتحريف وقع بها من النساخ ، فأخذ كل محقق ما وجده في نسخته ، أو في النسخ ، وبسبب الاخطاء المطبعية ، راجع الشعر والشعراء (١/١٥٠ ، ١٥٣) ، (الثقافة) ، (حماد) ، و « حمار » في معجم الشعراء ، للمرزباني (٨٠) ، (اخراج عبد الستار أحمد فراج) ، (حمار) ، (كذا في ا وهي احدى روايتين في اسمه، وجعلهاالشنقيطي « حماد » بالدال ، ويروى « حماز » و « خمار ») ، اسماء المغتالين (١٤٠) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، طبقات ابن سلام (١١٧) ، الاغاني (٢/١٧) ، الخزانة (١/١٨٤) ، الموشح (٧٢) .

٢ المرزباني ، معجم (٨٠ وما بعدها) ، (فراج) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .

٣ رسالة الغفران (١٨٦ ، ٢٠٣) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٧١ وما بعدها) .

٥ الشعر والشعراء (١/١٥٣) .

٦ كتاب أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، لمحمد بن حبيب (١٤٠ وما بعدها) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .

٧ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٦٥٨ وما بعدها) .

وقد ذكر عنه علماء الشعر ، انه كان نصرانياً هو وأهله ، وليس معدوداً من الفحول ، وعيب عليه أشياء . « وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري معها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت . ومثلها عندهم من الاسلاميين الكميت والطرماح »[1] . وقيل عنه انه « كان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة ، وله أربع قصائد غرر احداهن :

أرواح مودع أم بُكور لكَ ؟ فاعمد لأي حال تصير »

والثانية :

أتعرفُ رسم الدار من أم معبدٍ نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

والثالثة :

لم أرَ مثلَ الفتيان في غبن الـ أيام ينسون ما عواقبها

والرابعة :

طال ليلي أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا[2]

ومن شعره :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي

يقال ان رسول الله قال : كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر : إن القرين بالمقارن مقتدي[3] .

ومن الأخباريين من نسب القصيدة التي مطلعها :

طال ليلي أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

---

١ السيوطي ،شرح شواهد (١/٤٧١) ، الخزانة (١/١٨٤) ، (بولاق) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٥٠ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٣ المرزباني ، معجم (٨٢) ، (فراج) .

الى (سوادة بن عدي) ، غير أن معظمهم يرى أنها لعدي[1] .

وذكر (أبو العلاء) المعري ، أنه شاهد بعض الورّاقين ببغداد ، يسأل عن قافية (عدي بن زيد) العبادي ، التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبـ ـح يعـاتبنه أمـا تستفيق

وأن (ابن حاجب النعمان) ، وهو أبو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم ، سأل عن هذه القصيدة وطُلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد ، ثم سمع بعد ذلك أن رجلاً من أهل (أستراباذ) ، يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم[2] . وقد أورد (المعري) قصائد من شعره في رسالة الغفران[3] ، وأشار الى بعض ما نحل عليه ، والى بعض ما نسب اليه ، ونسب الى غيره[4] .

« قال الأصمعي : كان عدي لا يحسن أن ينعت الخيل ، وأخذ عليه قوله في صفة الفرس : فارهاً متتابعاً . وقال : لا يقال للفرس (فاره) انما يقال له جواد وعتيق،ويقال للكودن والبغل والحمار : فاره »[5] . ووصف الخمر بالخضرة، ولم يعلم أحد وصفها بذلك . وهو أول من شبه أباريق الخمر بالظباء[6] . وقالوا عنه انه ممن أقر على نفسه بالزنا . وأوردوا له أبيات شعر في ذلك[7] .

وفي شعر (عدي بن زيد) ، زهد الرهبان وتصوف المتصوفين ، فيه تذكير بالآخرة وتزهيد في الدنيا ، ووعظ بمصير محزن يلحق المغرورين العتاة المتجبرين كالمصير الذي لحق الملوك الطغاة والأقوام الخالية ، ولا سيما في القصيدة التي يقول فيها :

---

١ الخزانة (١/١٨٣ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (١٧٣ وما بعدها) .
٣ (ص ١٨٦ وما بعدها) .
٤ رسالة الغفران (٣٣٥) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٥٤) ، (الثقافة) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٥٥) ، (الثقافة) .
٧ الشعر والشعراء (١/١٥٦) ، (الثقافة) .

أين كسرى كسرى الملوك أنوشَرْ وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ ـروم ؟ لم يبق منهم مذكور
وأخو الحُضْر إذ بناه وإذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمـراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكـور
لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور
وتبين ربّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غِبْطَةُ حيّ الى الممات يصير ؟
ثم بعد الفلاح والملك والنعمة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور[1]

وورد أن (هشام بن عبد الملك) ، كان في مجلس فخم ، فحدثه (خالد ابن صفوان) بحديث ملك الحيرة الذي اغتر بهذه الدنيا ، ثم أنشده قصيدة عدي ابن زيد) ، التي منها :

أيها الشامت المعيّر بالدهر أأنت المـبرأ الموفـور ؟
أم لديك العهد الوثيق من الأ يام ، بل أنت جاهل مغرور

حتى أتم انشادها عليه ، فبكى وتأثر[2] . وورد في رواية أخرى أن قائل هذا الشعر هو : أحد بني تميم (عـدي بن سالم) المري العدوي . وقد ذكر ذلك (السهيلي) ، لكنه عاد بعد ذكره الشعر ، فقال : « والذي ذكره عـدي بن زيد في هذا الشعر هـو النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان بن المنذر . وأول هذا الشعر :

أرواح مودع أم بكور فانظر لأي ذاك تصير

قاله عدي وهو في سجن النعمان بن المنذر وفيه قتل »[3] . وروي أن (يونس

---

١ العقد الفريد (٣/١٩١) ، ابن هشام ، سيرة (١/٥٦) ، (حاشية على الروض) ،
٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٤ وما بعدها) .
٣ الروض الانف (١/٥٨) .

النحوي) ، كان يقول : « لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذا »[1] ، أي القصيدة المذكورة .

وفي شعره الذي قيل انه قاله للنعمان بن المنذر ، وكان قد نزل معه في ظل شجرة مونقة ليلهو النعمان هناك ، مثال على الحث على الزهد والابتعاد عن الدنيا والاقناع بنبذها والترهب في هذه الحياة . تحدث فيه على لسان الشجرة ، مخاطباً الملك ، قائلاً له بعد أن أرى ما عليه من الأنس والحبور : أيها الملك ؟ أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : وما الذي تقول ؟ قال : تقول:

من رآنا فليحدث نفسه ... انه مُوفٍ على قرن زوالِ
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولِما تأتي به صُمُّ الجبال
ربَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمرَ بالماء الزلال

الى أن يقول :

ثم أضحوا عَصَفَ الدهرُ بهم ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قالوا : فتنغص النعمان ، ونزع ملكه ، وخلعه عنه ، وترهب. الى غير ذلك من أشعار له ، فيها هذا المعنى من الترغيب في الزهد والابعاد عن لذائذ الدنيا[2].

و « حكي عن النعمان بن المنذر،أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي فمر بآرام – وهي القبور ، فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام؟ قال : لا . قال : إنها تقول :

أيهـا الركب المخضـو ... ن على الأرض تمرون
لكمَا كنتم فكنّـا ... وكما كنّـا تكونون[3]

والشعر المنسوب الى (عدي) الـذي أدى على حدّ قول علماء الأخبار الى

---

١ بلوغ الارب (٣/١١٩) .
٢ المبرد ، الكامل (١/٢٩٤) ، العمدة (١/٢٢٣) ، الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٨) ، المحاسن والاضداد (٣٦) .
٣ المحاسن والاضداد (٣٥) .

أعراض (النعمان) الساخط عن ملكه، وهروبه الى البراري ليعيش فيها عيشة الرهبان، هو شعر لا يمكن أن يكون من شعر (عدي) ، لأن شاعرنا لم يكن كبير السن آنذاك حتى يصدر منه مثل هذا الشعر ، كما أنه لم يكن على اتصال وثيق بذلك الملك في ذلك العهد . ولعلّه من الشعر المصنوع ، الذي وضع عليه . وهو شيء كثير . ولو قالوا إنه نظمه،وهو في سجنه حكاية عن قصة قديمة ، لكان كلامهم هذا أقرب الى العقل وأسهل للتصديق ، لأنه كان قد كبر في العمر ، وفي موقف يمكن أن يصدر منه مثل هذا الشعر .

وهو شعر سلس سهل جميـــل ذو معان عميقة لطيفة ، تتحدث عن تجارب رجل خبر الأيام ، وعاش في نعيم ورفاه ، حتى وصل مركزاً عالياً في بلده ، وإذا به يجد طريقـــه الى المقابر ، فيقبر بها وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فمن رأى الثاوين فيها ، ومن نظر الى القبور ، فليحدث نفسه ، أنه سيكون مثلهم، وانه موف على قرن زوال ، وصروف الدهر لا يبقى لها ، ولا تدوم حال على حال . وقد صار اسلوبه هذا نموذجاً لمن مال الى الزهد والتصوف في الإسلام ، وربما كان الشاعر (أبو العتاهية) ممن تأثر بهذا الشعر المنسوب الى (عدي) .

ولعلّ الأحداث التي وقعت له ، والأيام التي قضاها في سجنه ، حتى جاءته منيته ، وهو فيه ، قد أثرت في نفسيته فجعلته ، يكثر من الزهد في هذه الحياة، ومن وعظ الإنسان ، بأن يغتر ويتجبر ويتكبر ، فالسعادة لا تدوم لأحد، والملك لا يخلد لملك أو مالك ، والحياة مهما كانت سعيدة ناعمة ، فإنها قصيرة تمر مرّ البرق خاطفة ، فعلى المتجبر أن يتعلم العبر من حياة الماضين ومن الأمم العظيمة ، ومن الجبابرة ، من أمثال : الأكاسرة وملوك الروم ، وصاحب الحضر ، ومن حياة من شـــاد القصور ، وإذا به يتركها لغيره ، ثم يدفن في حفرة ضيقة ، فيخاطب النعمان صاحبه والشامتين به ، الحساد الذين وشوا به حتى أصابه ما أصابه، ويقول لهم جميعاً ، وهو قابع في سجنه[1] :

أيها الشامت المعيرُ بالدهـ ـــر أأنت المبرأ الموفـــور
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ـام بل أنت جاهل مغرور

---

١ الاغاني (٢/٣٦) ، العقد الفريد (٣/١٩١) .

من رأيت المنونَ خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى: كسرى الملوك أنو شر وان أين قبله سابور ؟

الى أن ينتهي منها ، بقوله :

ثم صاروا كأنهم ورق جَـ ـفَّ فألوت به الصبا والدبور

وهي قصيدة نظمت بالبحر الخفيف .

قال (الجاحظ) : « وقال عدي بن زيد العبادي ، وهو أحد من قد حُمِـل على شعره الحَمْل الكثير ، ولأهل الحيرة بشعره عناية ، وقال أبو زيد النحوي : لو تمنيت أن أقول الشعر ما قلت إلا شعر عدي بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيام عمره تروحُ له بالواعظات وتغتدي
فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تغو الذي بك يقتدي
فإن كانت النعماء عندك لامرىء فمثلاً بها فاجز المطالب أو زد
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتـدي
ستدرك من ذي الجهل حقَّك كله بحلمك في رفقٍ ولما تشدّد
وظلم ذوي القربى أشدّ عداوة على المرء من وقع الحسام المهنّد
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر اذا خطرت أيدي الرجال بمشهدِ[1]

وورد ان (عمر بن الخطاب) تمثل بشعر عدي :

كدمى العاج في المحاريب أو كالـ ـبيض في الروض زهره مستنير[2]

ومن شعراء الحيرة (ابن بقيلة) ، وله شعر ذكر فيه حال الحيرة بعد فتح المسلمين لها ، إذ يقول :

أبعد المُنذِرين أرى سَواماً تـروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى قلوصاً بين مرّة والحفير

---

١ الحيوان (٧/١٥٠) .
٢ البيان والتبيين (١/٤٥) .

فصرنا بعد هلك أبي قبيس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسّمنا القبائل من معـد علانيـةً كأيسار الجزور
وكنا لا يرامُ لنا حـريم فنحن كضرّة الضرع الفخور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ونخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجـال فيوم من مساءة أو سرور[1]

فهو يتأسف على ما وقع للحيرة ، من تسلط قبائـل (معد) عليها ، ومن دخولهم في حكمهم ، بعد أن كانوا يحكمون تلك القبائل ، ويجبون الجبايات ، ويظهر من ذكر (قريظة) والنضير في هذا الشعر ، ان حكم الحيرة قد بلغ أرض هاتين القبيلتين ، وذلك إن صح بالطبع ان هذا الشعر هو من شعره ، وانه أصيل غير مصنوع .

وهو (عبد المسيح بن بقيلة) الغساني ، أو (عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بقيلة) ، وبُقيلة اسمه (ثعلبة) ، وقيل : (الحارث) . وقـد حشر في جملة المعمرين الذين عاشوا ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام، فلم يسلم ، وكان نصرانياً . وله حديث مع خالد ، حين طلب من أهل الحيرة إرسال رجل من عقـلائهم ليكلمه في أمر المدينة ، فلما جاء اليه قال له : أنعم صباحاً أيها الملك . فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ، ثم سأله أسئلة أخرى ، ثم قـال له . أعرب أنتم أم نبيط ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا[2] ، في حديث منمق ، يرويه أهل الأخبار ، وكأنهم كانوا مع خـالد وابن بقيلة يسجلون حديثهما بالكلم والحروف .

وقد تطرق (الجاحظ) الى خبر التقاء (عبد المسيح) بخالد بن الوليـد ، وروى حديثه معه[3] . وذكر (المرتضى) أنه لما بنى قصره المعروف بقصر ابن بقيلة قال :

---

١ الطبري (٣٦٢/٣) ، وتجد هذه الأبيات في أمالي المرتضى مع بعض الاختلاف (٢٦٢/١) .
٢ الطبري (٣٦٢/٣) ، أمالي المرتضى (٢٦٠/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (١٤٧/٢ وما بعدها) .
٣ البيان والتبيين (١٤٧/٢ وما بعدها) .

لقـــد بنيت للحدثان حصناً لو أن المرءَ تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح بـــه حنين[1]

وروى (المرتضى) « أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديراً ، فلما احتفر موضع الأساس ، وأمعن في الأحتفار أصاب كهيئـــة البيت ، فدخله فإذا رجـــلٌ على سرير من رخام ، وعند رأسه كتابـة : أنا عبد المسيح ابن بقيلة :

حلبتُ الدهر أشطرهُ حياتي ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الأمور وكـافحتني فلم أحفـــل بمعضلة كئود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود »[2]

ومن شعره في الناس وفي تهافتهم والتفافهم حول الغني قوله :

والناس أبناء علاّت فمن علموا ان قد أقل فمجفوٌ ومهجور
وهم بنون لأم إن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول أوس بن حجر :

بني أم ذي المالِ الكثير يرونه وان كان عبداً سيد الأمر جحفلا
وهم لقل المالِ أولاد علة وإن كان محضاً في العُمومة مخولا[3]

ومن شعراء (تنوخ) (عمرو بن عبد الجن بن عائذ الله بن أسعد بن سعد ابن كثير بن غالب) ، وكان فارساً في الجاهلية ، و (بنو عبد الجن) أسرة معروفة ، كان لها بقية في الكوفة . ومن شعره :

أما والدماء الماثرات تخالهـــا على قنة العُزّى وبالنسر عندما

---

١ أمالي المرتضى (١/٢٦٢) .
٢ أمالي (١/٢٦٣) .
٣ أمالي المرتضى (١/٢٦٢ وما بعدها) .

ثم :

وما سبح الرحمان في كل ليلة أبيل الأبيلين المسيح بن مريما[1]

وأدخلوا في هذه الطبقة (جذيمة) الأبرش، و (لجيم بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل) ، وهو القائل :

من كل ما نال الفتى قد نلتـــه إلا التحية[2]

وجذيمة الأبرش ، هو (جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو) ملك الحيرة ، والأبرش لقب له ، ويقال له الوضاح[3] ، وهو خال (عمرو بن عدي)،وكان ينادم عدياً ، وكان له ندمان هما : مالك ، وعقيل ، بقيا معه أربعين سنة ، ثم قتلهما وندم ، ويضرب بهما المثل لطول ما نادماه . وقد قتلت الزباء جذيمة[4] . وقد شاء أهل الأخبار عدّه شاعراً من الشعراء وأوردوا له شعراً ، كما سبق أن تحدثت عنه في أثناء حديثي عن مملكة الحيرة ، وعن اسطورة صلته بالزباء . ولو جعلناه شاعراً : لوجب علينا تقديمه على كل الشعراء الجاهليين .

وقصة شعره اسطورة من أساطير أهل الأخبار ، فلو كان له شعر ، لوجب أن يكون بعربية أخرى ، هي العربية التي دوّن بها شاهد قبر (امرىء القيس) ملك الحيرة ، الذي توفي سنة (٣٢٨) للميلاد أي بعد (جذيمة) بأمد ، وشعره هو من شعر تبابعة اليمن وآدم والجن من صنع الرواة وأهل الأخبار .

وترى في شعر الأعشى ، وأمية بن أبي الصلت ، و (عدي بن زيد) ، وكلهم من شعراء القرى ، قصصاً ، لا تجده في الشعر المنسوب الى غيرهم من الشعراء . قصصاً نصرانياً وقصصاً يرد عند اليهود ، وقصصاً من قصص الأساطير والخرافات ، أو ممـا يتعلق بالأشخاص ، كالذي ينسب الى الأعشى من سرده حكاية السموأل وقصره في قصيدته التي يقول فيها :

---

١ الخزانة (٣/٣٤٠ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ المزهر (٢/٤٧٦) ، أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ١١٢ وما بعدها) .
٣ البيان والتبيين (١/٣٦٢) .
٤ رسالة الغفران (١٧٠ ، ٢٧٨) .

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار[1]

وقد وصف فيها السموأل وحصنه ، وقصة وفائه ؛ وما كان قد جرى من حوار بينه وبين الملك الغساني المطالب بأدرع الكندي ؛ وترى من قراءتك لها ان النظم نمط غير مألوف في شعر غيره من الشعراء ، الأبيات فيها مكملة لما قبلها متصلة بعضها ببعض ، بحيث لا يمكن أن تفصل بينها ، وإلا اختل المعنى ،وظهر فراغ فيه . وهو شيء غير مألوف عند غيره . فالبيت على حد قول علماء الشعر شعر مستقل قائم بنفسه ، لا يؤثر حذفه أو تقديمه أو تأخيره على المعنى ولا على ارتباط الأبيات بعضها ببعض ، أما في هذه القصيدة،فكل بيت فيها تابع لسابقه ، متصل معناه بمعناه ، لأنه جزء منه ، فلا يمكن حذف شيء من القصيدة دون ان يؤثر في معناها .

ونجد في شعره قصصاً عن سد مأرب ، وعن تهدمه وإغراقه من كان يسكن عنده بالمـــاء ، ذكر ذلك ليكون عبرة وأسوة للمؤتسي ، وهو قصص بني على حادث تهدم ذلك السد[2] .

وفي شعر الأعشى قصص إرم وعاد وطسم وجديس ، وأهل جوّ ، ووبار[3]. وهو قصص رصعه الأخباريون بشعر نسبوه الى (هُزيلة) امرأة من (جديس) ، والى (عميرة بنت غفار الجديسية) ، في قصص عن الملوك القدمـــاء ، وكيف انهم كانوا يدخلون على العذارى قبل ادخالهم على أزواجهم ، في قصص ينسب الى ملوك آخرين ، مثل ملوك اليمن[4] . وهو قصص نجـــد له مشابه عند الأمم الأخرى .

ومن شعراء (غسان) : (الشيظم بن الحارث) الغساني ، وهو من الأسرة الحاكمة ، كان قـــد قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم

---

١ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب (١/٤٣٦) .
٢ راجع البيت (٦٧ فما بعده) من القصيدة رقم (٤) ، وديوانه (ص ٤٣) .
٣ الخزانة (٢/٢٧٠ وما بعدها) ، (هارون) .
٤ الخزانة (٢/٢٧١ وما بعدها) ، (هارون) .

فلحق بالحيرة ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الحيرة ، فبينا هو ذات يومٍ في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لحـا الله صعلوكاً إذا نال مذقة توسد احـدى ساعديه فهوّما
مقيماً بـدار الهون غير مناكرٍ إذا ضيمَ أغضى جفنه ثم برشما
يلوذ بأذراء المثاريب طامعـاً يرى المنع والتعبيس من حيث يمما
يضنُّ بنفسٍ كدَّرَ البؤس عَيشها وجودٌ بها لو صانها كان أحزما
فذاك الذي إن عاش عاش بذلةٍ وإن مات لم يشهد له الناس مأتما
بأرضك فاعرك جلد جنبك إنني رأيت غريب القوم لحماً مُوضما

فكأنه نبهه من رقدة ، فتحايل الى صاحب خيل المنذر ، وتقرب اليه، وأظهر له أنه رجل من أهل (خيبر) ، أقبل الى هذه البلدة بتجارة فأصاب بها ، وله بصر بسياسة الخيل ، فضمه الى بعض أصحابه ، حتى إذا وافق غرة من القوم ، ركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض ، حتى نزل بحي من بهراء فأخبرهم بشأنـه ، فأعطوه زاداً ورمحاً وسيفاً ، وخرج حتى أتى الشأم فصادف الملك متبدياً ، وكان إذا تبدى لا يُحجب أحد عنه ، فأتى قبـة الملك فقام قريباً منه ، وأنشأ يقول :

يا صاحب الخيل الجياد المقربه وصاحب الكتيبـة المكوكبـه
والقبّـة المنيعة المحجبـه وواهـب المُضمرة المُربه
والكاعب البهكنه المؤتبـه والمائـة المُدفـأة المُنتخبـه
والضارب الكبش فويق الرقبه تحت عجاج الكَبَّة المُكتّبه
هـذا مقام من رأي مُطَّلَبه لديك إذ عَمّى الضلال مذهبه
وخال أنّ حتفه قد كربه

فأذن له الملك ، فدخل عليـه ، وقص قصته ، ثم بعث الى أوليـاء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم[1] .

---

١ ذيل الاماني (١٧٩ وما بعدها) .

وفي شعر شعراء القرى ، ميزة امتازوا بها عن شعر شعراء أهل البوادي، هي ان أبيات القصيدة عندهم ليست على نحو أبيات القصيدة عند بقيـة الشعراء من استقلال الأبيات بنفسها ، وقيامها بذاتها بحيث يمكن رفـع الأبيات من مواضعها وتقديمها أو تأخيرها ، أو حذفها ، دون أن يؤثر ذلك على وحـدة القصيدة أو المعنى . ففي شعر (الأعشى) مثلاً ، ترابط بـين الأبيات واتصال بـين البيت المتقدم والبيت الذي يليه ، بحيث لا يمكن حذف أحدهما ورفعه ، دون أن يؤثر حذفه على المعنى ، كذلك يتعذر علينا في بعض شعره نقـل البيت عن موضعه ، وقد يأتي الأعشى بالفعل في بيت ثم يأتي بفاعله أو بمفعوله في البيت التالي ، أو يأتي بفعل الشرط في بيت ويأتي بخبره بعد بيت أو بيتين[1] . ويرد التضمـين في شعره ، كما نجد (الاستدارة) فيه كذلك ، والاستدارة توالي مجموعـة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى التام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها . وهو أسلوب يثير السامع ويشوقه ، ويجعله يتتبع الكلام حتى يبلغ منتهاه[2] .

وأشعر شعراء (البحرين) الذين ذكرهم (ابن سلام) : المثقب العبدي ، والممزق العبدي ، والمفضل بن معشر[3] .

و (المثقب العبدي) واسمه (عائذ بن محصن بن ثعلبة) ، من (بني عبد القيس) ، من شعراء الجاهلية ، وإنما سمي مثقباً لقوله :

ظهرن بكلّة وسدلن أخرى وثقـبن الوصاوص للعيون[4]

وذكر (ابن قتيبة) ان اسمه (محصن بن ثعلبة)[5] ، وقيل اسمه شأس بن عائذ

---

١ ديوان الاعشى ، المقدمة (ص ظ) .
٢ ديوان الاعشى ، (غ) .
٣ طبقات (٦٩) .
٤ رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون
الشعر والشعراء (٣٥٦) ، طبقات الشعراء (٢٢٩) ، الخزانة (٤٣١/٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (١٩٠/١ وما بعدها) .
ظهرن بكلة وسدلن رقما وثقبن الوصاوص للعيون
تابع العروس (١٦٦/١) ، (ثقب) ، القاب الشعراء (٣١٦) .
٥ الشعر والشعراء (٣١١/١) ، (طبعة دار الثقافة) .

ابن محصن ، وقيل اسمه نهار بن شأس ، وكان يكنى أبا واثلة . وهو من شعراء البحرين[1] .

« وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ، ويقـول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه ، وفيها يقول :

أفاطم قبل بينكِ متعيني ومنعكِ ما سألتكِ أن تبيني
ولا تَعِدي مواعد كاذبات تمرّ بها رياح الصيف دوني
فإني لو تعانـد في شمالي عنادك ما وصلت بها يميني
إذاً لقطعتهـا ولقلت بيني كذلك اجتوى مـن يجتويني
فإما أن تكونَ أخي بحقٍ فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطّرحـني واتخذني عـدوّاً أتقيك وتتقيني
فما أدري إذا عممت أرضاً أريد الخيرَ أيهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيـه أم الشرّ الذي هو يبتغيني[2] ؟

وتحدث عنه (ابن قتيبة) ، فقال : « وهو قديم جاهلي ، كان في زمن عمرو بن هند ، واياه عنى بقوله :

الى عمرو ومن عمروٍ أتتني أخي الفعلات والحِلْمِ الرزين

وله يقول :

غلبتَ ملوكَ الناس بالحزم والنهى وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي
وأنجب به من آل نصرٍ سميدعٍ أغرّ كلون الهنداوانيّ رونق »[3]

ويرى (بروكلمن) ، ان (ابن قتيبة) انما أخذ رأيه المذكور من البيت المتقدم المذكور في المفضليات ، ولكن الأصمعي يعارض ذلك ، فقد مدح المثقب أبا قابوس النعمان بن المنذر[4] .

---

١ المرزباني ، معجم (١٦٧) ،الخزانة (٤/٤٢٩ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٣١١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣١٢) ، المرزباني ، معجم (٣٠٣).
٤ بروكلمن ، (١/١١٥) ، البيت ٤١ من القصيدة ٧٦ ، المفضليات .
فان أبا قابوس عندي بلاؤها جزاء بنعمي لا يحل كنودها
البيت ١٤ من القصيدة ٢٨ في المفضليات .

وللمثقب العبدي ديوان مطبوع ، كما يوجد له شرح[1] . ومن شعره :

لا تقولن إذا مـــا لم ترد أن تمّ الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعـــد نعم
إن لا بعـــد نعم فاحشة فبلا فـابدأ إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لهـــا بنجاح القول إن الخلف ذم[2]
واعلم بأن الذمّ نقص للفتى ومتى لا تتقي الـــذمّ تذم
اكرم الجار وراعِ حقـــه إنّ عرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعـــاً في مجلسٍ في لحوم الناس كالسبع الضرم
إنّ شرّ الناس من يكشر لي حينَ يلقاني وإن غبت شتم
وكـلام سيء قـــد وقرت عنه أذنايَ وما بي من صمم
فتعـــديتُ خشاة أن يرى جاهل أني كما كـان زعم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنى أبقى وان كانظلم[3]

وأما (الممزق) العبدي ، فاسمه (شأس بن نهار بن أسود) ، وانما سمي (الممزق) ببيت قاله :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولمـــا أمزّق[4]

وهو ابن أخي المثقب العبدي ، وكان معاصراً لأبـي قابوس النعمان بن المنذر[5] . قال عنه (ابن قتيبة) : « وهو جاهـلي قديم ، قال البيت المذكور في قصيدة قالها لبعض ملوك الحيرة[6] . وذكر انه قالها للملك عمرو بن هند ، حين همّ بغزو عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه[7] . وقيـــل انه عرف بالممزق ببيته :

---

١ حققه الشيخ محمد حسن آل يسين ، (بغداد ١٩٥٦ م) ، بروكلمن (١/١١٥) .
٢ الخزانة (٤/٤٣١) ، (بولاق) .
٣ بلوغ الارب (٣/١٢٤) .
٤ ابن سلام ، طبقات (٧٠) ، الاشتقاق (٣٣٠) ، الامدي ، المؤتلف (١٨٥) ، القاب الشعراء (٣١٦) ، المفضليات (٢/٢٣٢) .
٥ بروكلمن (١/١١٩) ، القاب الشعراء (٣١٦) ، المرزباني (٤٩٥) ، المزهر (٢/٤٣٥ وما بعدها) ، الحيوان (٢/٢٩٨) ، (٥/٤٤١) .
٦ الشعر والشعراء (١/٣١٤) ، المرزباني ، معجم (٤٨١) ، الاصمعيات رقم (٥٠)
٧ البيان والتبيين (١/٣٧٥ وحاشية رقم ٤) ، جمهرة ابن حزم (٢٨٢) .

فمن مبلغ النعمان ان ابن أخته على العين يعتاد الصفا ويمزق[1]

وقد نسبه (السيوطي) على هذه الصورة : (شأس بن نهار بن الأسود بن جبريل بن عباس بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه بن بكرة) العبدي ، ثم البكري[2] . ومن شعره :

أحقاً أبيت اللعن إن ابن فرتنا على غير إجرامٍ بريقي مُشرقي
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولمّا أمزق
فأنت عميد الناس مهما تقل نقل ومهما تضع من باطلٍ لا يحقق
أكلّفتني أدواء قومٍ تركتهم فألا تداركني من البحر أغرق
فإن يعمنوا أشتم خلافاً عليهم وإن يتهموا مستحقبي الحرب أعقبي[3]

ومما ينسب اليه :

هل للفتى من بنات الدهرِ من واقِ أم هل له من حمام الموت من واقِ

وقوله :

هون عليك ولا تولع باشفاقِ فإنما مالنا للوارث الباقي[4]

ونجده يذكر في شعره صراخ الديك ، ولا نجد للديك ذكراً عند الأعراب ، لأنهم لا يربون الدجاج ، وتربية الدجاج من خصائص الحضر . تراه يقول :

وقد تخذت رجلاي في جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرّق
أنيخت بجوٍّ يصرخ الديك عندها وباتت بقاعٍ كادىء النبت سملق[5]

وذكر (المرتضى) أن من شعره قوله :

ألا مَنْ لعينٍ قد نآها حميمها وأرّقني بعد المنام همومها

---

١ بلوغ الارب (٣/١٢٤) .
٢ شرح شواهد (٢/٦٨٠ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣١٤) .
٤ بلوغ الارب (٣/١٢٥) .
٥ الحيوان (٢/٢٩٨) .

فباتت لها نفسان شتى همومهـــا فنفسٌ تعزيها ونفس تلومهـــا

وذكر أن من العلماء من ينسبه لمعقر بن حمار البارقي[1] .

ومن شعراء (عبد القيس) : (سويد) و (يزيد) ابنا (خذاق) . قال عنهما (ابن قتيبة) : « وهما قديمان ، كانا في زمن عمرو بن هند . ويزيد القائل:

نعـــمانُ إنك غادرٌ خدِعٌ يخفي ضميرك غير ما تُبدي
فإذا بدا لك نَحْتُ أثلتنـــا فعليكها إن كنتَ ذا جـدّ
وهززتَ سيفك كي تحاربنا فانظر بسيفك من به تردي

وله شعر في الموت وفي ذم الدنيـــا ، قال عنه (أبو عمرو بن العلاء) إنه « أول شعرٍ قيل في ذم الدنيا »[2]

وكان يزيد قد هجا (النعمان بن المنذر) فبعث اليهم النعمان كتيبته (الدوسر) فاستباحتهم ، فقال أخوه سويد :

ضربت دوسرُ فينـــا ضربة أثبتت أوتاد مُلْك فاستقر
فجزاك الله من ذي نعمـة وجزاه الله من عبد كفر[3]

ومن شعره قوله في (عمرو بن هند) :

أبى القلبُ أن يأتي السديرَ وأهلهُ وإن قيل عيشٌ بالسدير غزير
به البق والحُمّى وأسدٌ خفيّة وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

وهو القائل أيضاً :

جزى الله قابوسَ بن هند بفعله بنـــا وأخاه غـــدرة وأثاما
بما فَجَرَا يوم العُطيف وفرّقا قبائل أحلافاً وحيّاً حراما
لعلّ لَبُون الملك تمنع درها ويبعث صرف الدهر قوماً نياما
وإلا تغاديـــني المنيّـة أغشكم على عُدَواء الدهر جيشاً لهاما[4]

---

١ امالي المرتضى (١/٣٢٥) .
٢ الشعر والشعراء (١/٣٠٢) .
٣ الاشتقاق (٢/٢٠٠) .
٤ الشعر والشعراء (١/٣٠٢ وما بعدها) .

وكانت عبد القيس وتميم على اتصال بملوك المناذرة الذين كان نفوذهم يمتد الى البحرين واليمامة في بعض الأحايين ، فكانت جيوش الحيرة في نزاع مستمر مع هذه القبائل التي كانت تنفر من دفع الإتاوة ومن الخضوع لآل لخم. ونجد أخبار هذا النزاع في شعر شعرائها ، وهي أخبار لا نجدها في كتب التواريخ المألوفة ، التي لم تحفل بالشعر ، فضاع عليها قسط كبير من تأريخ الحيرة ، حصلنا عليه لحسن حظنا من كتب الشعر والأدب التي دونت أخبار الشعراء ودونت المناسبات التي قيل فيها ذلك الشعر .